

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير القرطبي

سورة مريم

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

	المكان:	1431/11/18هـ	تاريخ المحاضرة:
--	---------	--------------	-----------------

نعم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى -:

"الرَّابِعَةُ: الإِشَارَةُ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ، وَتُفْهِمُ مَا يُفْهِمُ الْقَوْلُ. كَيْفَ لَا وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مَرْيَمَ فَقَالَ: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ}، وَفَهُمْ مِنْهَا الْقَوْمُ مَقْصُودَهَا وَغَرَضُهَا فَقَالُوا: {كَيْفَ نَكَلِّمُ} وَقَدْ مَضَى هَذَا فِي (آلِ عِمْرَانَ) مُسْتَوْفَى.

الخَامِسَةُ: قَالَ الْكُوفِيُّونَ: لَا يَصِحُّ قَدْفُ الْأَخْرَسِ وَلَا لِعَانَهُ. وَرُويَ مِثْلُهُ عَنِ الشَّعْبِيِّ، وَبِهِ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، وَإِنَّمَا يَصِحُّ الْقَدْفُ عِنْدَهُمْ بِصَرِيحِ الزَّنَا دُونَ مَعْنَاهُ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ مِنَ الْأَخْرَسِ صُرُورَةً، فَلَمْ يَكُنْ قَادِفًا."

لكن هناك إشارات مفهومة تدل على المراد، فإذا حصلت من الأخرس أو من غيره فدلالته كدلالة النطق، البخاري له كلام في هذه المسألة.

"وَلَا يَتَمَيَّزُ بِالْإِشَارَةِ بِالزَّنَا مِنَ الْوَطْءِ الْحَلَالِ وَالشُّبْهَةِ. قَالُوا: وَاللِّعَانُ عِنْدَنَا شَهَادَاتٌ، وَشَهَادَةُ الْأَخْرَسِ لَا تُقْبَلُ بِالْإِجْمَاعِ."

هذا الكلام في زمانهم له شيء من الصحة، وله رصيد من الواقع، لكن الآن الصم يفهم بعضهم لبعض، قد يفهمون غيرهم بعبارات هي أقوى من الكلام، ويوجد الآن من الصم ما يؤدي، ما يؤديه متكلم، أغلب وأقوى من النطق أحياناً، ووجد أصم أبكم أعمى ويؤدي من الخدمة لهذا الدين أكثر مما يؤديه كثير ممن ينتسب إلى العلم من المبصرين الذين يسمعون وينطقون، والله المستعان، الآن تعليمهم وصل إلى مستوى قد لا يحسون بالفرق بينهم وبين غيرهم، يدركون جميع ما يدركه غيرهم، نعم.

طالب: أحسن الله إليك الأصم والأبكم، الأصم والأعمى والأخرس قد يتأتى منهم الإشارة.

نعم، يتأتى، حضرنا مجلساً فيه الصفات كلها، أصم، أبكم، أعمى، تكلم بكلام قريب من الساعة، وتحدث فيها عن جميع ما يخطر على بال، مما يؤديه أفصح الناس، وتأثر الناس بكلامه تأثراً لا نظير له.

تكلم بالإشارة.

بالإشارة، وعنده من يترجم له، ويسمع المداخلات والأجوبة لا بأذنه، وإنما بإشارة بيده، فيه واحد بجانبه يترجم له باليد، يشير له بيده ويفهم، وسبحان الله العظيم شيء ما يخطر على بال، كان إلى عهد قريب الأصم وجوده مثل عدمه، يعني إذا وجدت موعظة أو محاضرة أو حديث يُقرأ أو شيء،

قام وطرق على جدار في آخر المسجد ولا كأنه، ولا خطبة جمعة، ولا يفهم شيئاً أبداً، لكن وجوده مثل عدمه، لكن الآن ما شاء الله يستفيدون فائدة كبرى، وينفع بعضهم بعضاً، وهذه من نعم الله - جل وعلا- والله المستعان.

"قَالَ ابْنُ الْقَصَّارِ: قَوْلُهُمْ إِنَّ الْقَذْفَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِالتَّصْرِيحِ، فَهُوَ بَاطِلٌ بِسَائِرِ الْأَلْسِنَةِ مَا عَدَا الْعَرَبِيَّةَ، فَكَذَلِكَ إِشَارَةُ الْأَخْرَسِ. وَمَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْإِجْمَاعِ فِي شَهَادَةِ الْأَخْرَسِ فَعَلَطٌ. وَقَدْ نَصَّ مَالِكٌ أَنَّ شَهَادَتَهُ مَقْبُولَةٌ إِذَا فُهِمَتْ إِشَارَتُهُ، وَأَنَّهَا تَقُومُ مَقَامَ اللَّفْظِ بِالشَّهَادَةِ، وَأَمَّا مَعَ الْقُدْرَةِ بِاللَّفْظِ فَلَا تَقَعُ مِنْهُ إِلَّا بِاللَّفْظِ. قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: وَالْمُخَالَفُونَ يُلْزَمُونَ الْأَخْرَسَ الطَّلَاقَ وَالْبُيُوعَ وَسَائِرَ الْأَحْكَامِ، فَيُنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْقَذْفُ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ الْمُهَلَّبُ: وَقَدْ تَكُونُ الْإِشَارَةُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَبْوَابِ الْفِقْهِ أَقْوَى مِنَ الْكَلَامِ مِثْلَ قَوْلِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»، نَعْرِفُ قُرْبَ مَا بَيْنَهُمَا بِمَقْدَارِ زِيَادَةِ الْوَسْطَى عَلَى السَّبَابَةِ. وَفِي إِجْمَاعِ الْعُقُولِ عَلَى أَنَّ الْعَيْنَ أَقْوَى مِنَ الْخَبَرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِشَارَةَ قَدْ تَكُونُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَقْوَى مِنَ الْكَلَامِ".

وجاء في الحديث: «ليس الخبر كالمعاينة»، وجاء في الخبر، وهنا في البخاري -رحمه الله- في باب اللعان يقول: فإذا قذف الأخرس امرأته بكتابة أو إشارة أو إيماء معروف فهو كالمتمكلم؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد أجاز الإشارة في الفرائض، وهو قول بعض أهل الحجاز وأهل العلم، وقال الله تعالى: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا} [مريم:29]، وقال الضحاك: إلا رمزاً إشارة، وقال بعض الناس: لا حد ولا لعان، لا حد ولا لعان، ثم زعم أن الطلاق بكتاب أو إشارة أو إيماء جائز، وليس بين الطلاق والقذف فرق. فإن قال: القذف لا يكون إلا بكلام قيل له: كذلك الطلاق لا يجوز إلا بكلام، وإلا بطل الطلاق والقذف، وكذلك العتق، وكذلك الأصم يلاعن، وقال الشعبي وقتادة: إذا قال: أنت طالق فأشار بأصابعه تبين منه بإشارته، يعني لو قال: أنت طالق ثم أشار ثلاثاً بأصابعه، تبين منه إشارة؛ لأنه يقصد ثلاث مرات، طلقها ألبتة، هذا على القول بوقوع الطلاق الثلاث دفعة واحدة، والمسألة خلافية.

إذا قال: أنت طالق فأشار بأصابعه تبين منه بإشارته، قال إبراهيم: الأخرس إذا كتب الطلاق بيده لزمه، وقال حماد: الأخرس والأصم إن قال برأسه جاز، يعني لو قيل له: أطلقت امرأتك؟ ثم قال بإشارة برأسه أي نعم تطلق، والله المستعان، هذا كلام الإمام -رحمه الله- في صحيحه.

كتاب اللعان؟

نعم باب اللعان، والحافظ ابن حجر أطل في المسألة، ذكر أدلة كل قول، وذكر قصصاً ووقائع - رحمه الله-

المقصود أن الإشارة إذا كانت مفهومة تقوم مقام العبارة، لكن هل إذا أشار في صلته هل يكون بمنزلة المتمكلم؟ لأن أسماء لما دخلت والناس يصلون صلاة الكسوف تعجبت، فأشارت عائشة

بأصبعها إلى السماء، فقالت لها أسماء: آية؟ فأشارت عائشة برأسها: أي نعم، فعائشة أشارت إشارة مفهومة برأسها، ومع ذلك صلاتها صحيحة.

"وَالسَّلَامُ عَلَيَّ أَي السَّلَامَةُ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ الرَّجَّاجُ: ذُكِرَ السَّلَامُ قَبْلَ هَذَا بِغَيْرِ أَلْفٍ وَلَا مِ فَحَسُنَ فِي الثَّانِيَةِ ذِكْرُ الْأَلْفِ وَاللَّامِ.

وقوله: **{ يَوْمٌ وُلِدْتُ }** يعني في الدنيا. وقيل: من همز الشيطان كما تقدم في (آل عمران). **{ وَيَوْمٌ أَمُوتُ }** يعني في القبر، **{ وَيَوْمٌ أُبْعَثُ حَيًّا }** يعني في الآخرة؛ لأن له أحوالاً ثلاثة: في الدنيا حياً، وفي القبر ميتاً، وفي الآخرة مبعوثاً، فسلم في أحواله كلها وهو قول الكلبي. ثم انقطع كلامه في المهد حتى بلغ مبلغ العلمان. وقال قتادة: ذكر لنا أن عيسى -عليه السلام- رآته امرأة يخبي الموتى، ويبرئ الأكمة والأبرص في سائر آياته فقالت: طوبى للبطن الذي حملك، والثدي الذي أرضعك، فقال لها عيسى -عليه السلام-: طوبى لمن تلا كتاب الله تعالى، واتبع ما فيه وعمل به".

هذه العبرة، العبرة بما يأتيه الإنسان مما له فيه الخيرة، يعني الأمور التي يختار فيها الفعل وعدم الفعل، يختار الفعل والترك، نعم، وليس معنى أنه مخير أن يفعل أو ألا يفعل، لكن له إرادة يستطيع بواسطتها أن يفعل أو لا يفعل، فإن فعل فله الأجر، وإن ترك فعليه الإثم، أما الأمور الجبلية القهرية فهذه لا يثاب عليها ولا يمدح ولا يُحمد عليها، ولذلك يقولون في المدح أو الحمد: أنه ذكر المحمود بصفاته الاختيارية، صفاته الاختيارية يعني بحسن الخلق يستطيع أن يغضب، لكن يكظم الغيظ يحمد عليه، لكن بطوله، بلونه، بعرضه هذا لا يُحمد عليه؛ لأنه لا يد له فيه، فطوبى لمن تلا كتاب الله، وآمن به، واتبع ما فيه، وعمل بأوامره وازدجر عن نواهيه، والله المستعان.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: **{ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ }** أَي ذَلِكَ الَّذِي ذُكِرْنَا بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَكَذَلِكَ اعْتَدُوهُ، لَا كَمَا تَقُولُ الْيَهُودُ إِنَّهُ لِبَعِيْرٍ رَشْدَةٍ وَأَنَّهُ ابْنُ يُوسُفَ النَّجَّارِ، وَلَا كَمَا قَالَتِ النَّصَارَى: إِنَّهُ الْإِلَهِ أَوْ ابْنُ الْإِلَهِ. **{ قَوْلُ الْحَقِّ }** قَالَ الْكِسَائِيُّ: **{ قَوْلُ الْحَقِّ }** نَعْتُ لِعِيسَى أَي ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ. وَسُمِّيَ قَوْلَ الْحَقِّ كَمَا سُمِّيَ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَالْحَقُّ هُوَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: الْمَعْنَى هُوَ قَوْلُ الْحَقِّ. وَقِيلَ: التَّقْدِيرُ هَذَا الْكَلَامُ قَوْلُ الْحَقِّ".

هذا على قراءة الرفع.

" قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ هَذَا كَلَامُ عِيسَى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَوْلُ الْحَقِّ لَيْسَ بِبَاطِلٍ، وَأُضِيفَ الْقَوْلُ إِلَى الْحَقِّ كَمَا قَالَ: **{ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ }** أَي الْوَعْدُ الصِّدْقُ. وَقَالَ: **{ وَوَلَدًا لِلْآخِرَةِ حَيْرٌ }**".

يعني من باب إضافة الصفة إلى موصوفها.

"أَي وَلَا الدَّارَ الْآخِرَةَ. وَقَرَأَ عَاصِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ: **{ قَوْلُ الْحَقِّ }** بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ، أَي أَقُولُ قَوْلًا حَقًّا. وَالْعَامِلُ مَعْنَى الْإِشَارَةِ فِي (ذَلِكَ). قَالَ الرَّجَّاجُ: هُوَ مَصْدَرٌ أَي أَقُولُ قَوْلَ الْحَقِّ؛ لِأَنَّ مَا

قَبْلَهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: مَدْحٌ. وَقِيلَ: إِغْرَاءٌ. وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: قَالَ الْحَقُّ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ: قَوْلَ الْحَقِّ بِضَمِّ الْقَافِ".

الإشارة وإن كانت بلفظ جامد إلا أنها تتضمن معناً مشتقاً، ولذلك هذا المعنى المشتق يعمل عمل الفعل المشتق، ويوصف به كالوصف بمشتق، يوصف به محمداً ذلك الرجل كريماً، يوصف به، أو رجلٌ هذا فعله كريم، المقصود أنه يوصف بالإشارة، وإن كان أصل الوصف أنه بالمشتقات، ولذا يقول ابن مالك -رحمه الله تعالى-:

وَأَنْعَيْتَ بِمُشْتَقِّ كَصَعِبٍ وَدَرَبٍ وَشَبَّهِهِ كَذَا وَذِي وَالْمُنْتَسِبِ

يعني المنسوب يعني محمد المكي، نعم ينعنون به.

"وَقَرَأَ الْحَسَنُ: قَوْلَ الْحَقِّ بِضَمِّ الْقَافِ، وَكَذَلِكَ فِي (الْأَنْعَامِ) قَوْلُهُ الْحَقُّ. وَالْقَوْلُ وَالْقَالُ وَالْقَوْلُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، كَالرَّهْبِ وَالرَّهْبِ وَالرَّهْبِ"

والضعف، والضعف، والضعف كلها بمعنى واحد.

"الَّذِي مِنْ نَعْتِ عِيسَى. {فِيهِ يَمْتَرُونَ} أَي يَشْكُونَ، أَي ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ الْقَوْلَ الْحَقُّ. وَقِيلَ: يَمْتَرُونَ يَخْتَلِفُونَ. ذَكَرَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ } قَالَ: اجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ، أَخْرَجَ كُلُّ قَوْمٍ عَالِمَهُمْ، فَأَمْتَرُوا فِي عِيسَى حِينَ رُفِعَ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: هُوَ اللَّهُ هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ فَأَحْيَا مَنْ أَحْيَا وَأَمَاتَ مَنْ أَمَاتَ، ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ، وَهُمْ الْيَعْقُوبِيَّةُ. فَقَالَتِ الثَّلَاثَةُ: كَذَبَتْ. ثُمَّ قَالَ اثْنَانِ مِنْهُمْ لِلثَّلَاثِ: قُلْ فِيهِ، قَالَ: هُوَ ابْنُ اللَّهِ وَهُمْ النُّسُطُورِيَّةُ، فَقَالَ الْاِثْنَانِ: كَذَبَتْ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُ الْاِثْنَيْنِ لِأَخْرَجَ: قُلْ فِيهِ، فَقَالَ: هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، اللَّهُ إِلَهٌ وَهُوَ إِلَهٌ، وَأُمُّهُ إِلَهٌ، وَهُمْ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ مُلُوكُ النَّصَارَى. فَقَالَ الرَّابِعُ: كَذَبَتْ، بَلْ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ، وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ، فَكَانَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَتْبَاعٌ عَلَى مَا قَالَ، فَاقْتَتَلُوا، فَظَهَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: { وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ } [آل عمران: 21]، وَقَالَ قَتَادَةُ: وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: { فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ }، اخْتَلَفُوا فِيهِ فَصَارُوا أَحْزَابًا. فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ الَّذِي فِيهِ تَمْتَرُونَ".

الأصل أفراد، لكن صار لكل فرد تبع فصاروا أقواماً وأحزاباً، نسأل الله العافية.

"فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ الَّذِي فِيهِ تَمْتَرُونَ بِالنَّاءِ الْمُعْجَمَةِ مِنْ فَوْقٍ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ وَغَيْرِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَرَّ بِمَرْيَمَ ابْنِ عَمِّهَا وَمَعَهَا ابْنُهَا إِلَى مِصْرَ، فَكَانُوا فِيهَا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى مَاتَ الْمَلِكُ الَّذِي كَانُوا يَخَافُونَهُ. ذَكَرَهُ الْمَوَارِدِيُّ.

قُلْتُ: وَوَقَعَ فِي تَارِيخِ مِصْرَ فِيمَا رَأَيْتُ وَجَاءَ فِي الْإِنْجِيلِ الظَّاهِرِ أَنَّ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ لَمَّا وُلِدَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ كَانَ هِيرُودِسَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَلِكًا، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى يُوسُفَ النَّجَّارِ فِي الْحُلْمِ، وَقَالَ لَهُ".

طالب: أو في الحلم؟

نعم؟

طالب: في الحلم؟

لا.

طالب: أم في الرؤية؟

الرؤية نعم.

"أَوْحَى إِلَى يُوسُفَ النَّجَّارِ فِي الْحُلْمِ، وَقَالَ لَهُ: فَمُ فَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَأَذْهَبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ، فَإِنَّ هِيرُودِسَ مَزْمَعٌ أَنْ يَطْلُبَ عَيْسَى لِيُهْلِكَهُ، فَقَامَ مِنْ نَوْمِهِ وَامْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ، وَأَخَذَ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ وَمَرْيَمَ أُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى مِصْرَ، وَفِي حَالِ مَجِيئِهِ إِلَى مِصْرَ نَزَلَ بِبَيْتِ الْبَلَسَانَ الَّتِي بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ وَغَسَلَتْ ثِيَابَهُ عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ، فَأَلْبَسَانُ لَا يَطْلُعُ وَلَا يَبْنُتُ إِلَّا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ، وَمِنْهُ يُخْرَجُ الدُّهْنُ الَّذِي يُخَالِطُ الزَّيْتَ الَّذِي تَعْمَدُ".

تَعْمَدُ.

"الَّذِي تَعْمَدُ بِهِ النَّصَارَى؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ قَارُورَةٌ وَاحِدَةً فِي أَيَّامِ الْمِصْرِيِّينَ لَهَا مِقْدَارٌ عَظِيمٌ، وَتَقَعُ فِي نُفُوسِ مُلُوكِ النَّصَارَى مِثْلُ مَلِكِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَمَلِكِ صِقْلِيَّةِ وَمَلِكِ الْحَبَشَةِ وَمَلِكِ النُّوبَةِ وَمَلِكِ الْفَرَنْجَةِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُلُوكِ عِنْدَمَا يُهَادِيهِمْ بِهِ مُلُوكُ مِصْرَ مَوْقِعًا جَلِيلًا جَدًّا".

نعم، لها شأن عندهم، يتبركون بها، نسأل الله العافية.

"وَتَكُونُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ هَدِيَّةٍ لَهَا قَدْرٌ وَفِي تِلْكَ السَّفَرَةِ وَصَلَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ إِلَى مَدِينَةِ الْأَشْمُونِينَ وَقَسَمَ الْمَعْرُوفَةَ الْأَنَ بِالْمُحَرَّقَةِ، فَذَلِكَ يُعْظِمُهَا النَّصَارَى إِلَى الْآنَ، وَيَخْضُرُونَ إِلَيْهَا فِي عِيدِ الْفِصْحِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ؛ لِأَنَّهَا نَهَائِيَّةٌ مَا وَصَلَ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَمِنْهَا عَادَ إِلَى الشَّامِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **{ مَا كَانَ لِلَّهِ }** أَيُّ مَا يَنْبَغِي لَهُ وَلَا يَجُوزُ **{ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وُلْدٍ }** (مِنْ) صِلَةٌ لِلْكَلامِ، أَيُّ أَنْ يَتَّخِذَ وُلْدًا. وَ(أَنْ) فِي مَوْضِعِ رَفْعِ اسْمٍ كَانَ أَيُّ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ وُلْدًا، أَيُّ مَا كَانَ مِنْ صِفَتِهِ اتِّخَاذُ الْوُلْدِ، ثُمَّ نَزَّ نَفْسَهُ تَعَالَى عَنْ مَقَالَتِهِمْ فَقَالَ: سُبْحَانَهُ".

يعني اسم كان بعد أن تقول مع ما بعدها بمصدر أن يتخذ اتخاذًا.

"فَقَالَ: سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وُلْدٌ. **{ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }** تَقَدَّمَ فِي (الْبَقَرَةِ) مُسْتَوْفَى. **{ وَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ }** قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِفَتْحِ (أَنْ)، وَأَهْلُ الْكُوفَةِ

(وَإِنَّ) بِكَسْرِ الهمزة عَلَى أَنَّهُ مُسْتَأْنَفٌ. تَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ أَبِي (كُنْ فَيَكُونُ إِنَّ اللَّهَ) بِغَيْرِ وَاوٍ عَلَى الْعُظْفِ عَلَى { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ } وَفِي الْفَتْحِ أَقُولُ".

في الفتح أقوال، يعني كيف يكون إعرابها على الفتح؟

"وَفِي الْفَتْحِ أَقْوَالٌ: فَمَذْهَبُ الْخَلِيلِ وَسَيِّبُونِيهِ أَنَّ الْمَعْنَى؛ وَلِأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ".
في موضع جر بلام التعليل.

"وَكَذَا { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ } فَ (أَنَّ) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عِنْدَهُمَا. وَأَجَازَ الْفَرَّاءُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ عَلَى حَذْفِ اللَّامِ، وَأَجَازَ أَنْ يَكُونَ أَيْضًا فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ بِمَعْنَى وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتَ حَيًّا وَبِأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ. وَأَجَازَ الْكِسَائِيُّ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِمَعْنَى وَالْأَمْرُ أَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ. وَفِيهَا قَوْلٌ خَامِسٌ: حَكَى أَبُو عُبَيْدٍ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو بَنَ الْعَلَاءَ قَالَهُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: وَقَضَى أَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ، فَهِيَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ: (أَمْرًا) مِنْ قَوْلِهِ: { إِذَا قَضَى أَمْرًا } وَالْمَعْنَى إِذَا قَضَى أَمْرًا وَقَضَى أَنَّ اللَّهَ. وَلَا يُبْتَدَأُ بِ (أَنَّ) عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ، وَلَا عَلَى التَّقْدِيرِ الثَّلَاثِ. وَيَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ بِهَا عَلَى الْأَوْجُهِ الْبَاقِيَةِ. { فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } أَي دِينٌ قَوِيمٌ لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ".

لماذا لا يبتدأ بها على القولين؟

يعني معطوف على معمول { قَضَى أَمْرًا }.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ } مِنْ زَائِدَةٍ أَيِ اخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ بَيْنَهُمْ. وَقَالَ قَتَادَةُ: أَيِ مَا بَيْنَهُمْ، فَاخْتَلَفَتِ الْفِرْقُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي أَمْرِ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَأَلْيَهُوهُ بِالْقَدْحِ وَالسَّحْرِ. وَالنَّصَارَى قَالَتِ النُّسْطُورِيَّةُ مِنْهُمْ: هُوَ ابْنُ اللَّهِ. وَالْمَلَكَانِيَّةُ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ. وَقَالَتِ الْيَعْقُوبِيَّةُ: هُوَ اللَّهُ، فَأَفْرَطَتِ النَّصَارَى وَعَلَّتْ، وَفَرَطَتِ الْيَهُودُ وَقَصَّرَتِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا فِي (النِّسَاءِ). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمُرَادُ مِنَ الْأَحْزَابِ الَّذِينَ تَحَرَّبُوا عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَكَذَّبُوهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

{ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ } أَيِ مِنْ شُهُودِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْمَشْهَدُ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، وَالشُّهُودُ الْحُضُورُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْحُضُورُ لَهُمْ، وَيُضَافُ إِلَى الظَّرْفِ لِوُقُوعِهِ فِيهِ، كَمَا يُقَالُ: وَيَلُّ لِفَلَانٍ مِنْ قِتَالِ يَوْمٍ كَذَا؛ أَيِ مِنْ حُضُورِهِ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَقِيلَ: الْمَشْهَدُ بِمَعْنَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَشْهَدُهُ الْخَلَائِقُ، كَالْمَحْشَرِ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي يُحْشَرُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ. وَقِيلَ: قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ حُضُورِهِمُ الْمَشْهَدَ الْعَظِيمَ الَّذِي اجْتَمَعُوا فِيهِ لِلتَّشَاوُرِ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَقَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ".

لكن الأول أي من شهود يوم القيامة مشاهد كثيرة في الدنيا، لكن ما يستحق الوصف بالعظمة إلا أعظمها وهو شهود يوم القيامة.

طالب:.....

السياق، السياق يدل على أنهم فرق النصارى { **فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ** }، يدل على أنه فيهم، نعم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: { **أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا** } قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: الْعَرَبُ تَقُولُ هَذَا فِي مَوْضِعِ التَّعَجُّبِ، فَتَقُولُ أَسْمِعْ بَرِيدٍ وَأَبْصِرْ بَرِيدٍ أَيُّ مَا أَسْمَعَهُ وَأَبْصَرَهُ".

أبو العباس من؟ من أبو العباس؟

طالب: المبرد.

المبرد، نعم.

"قَالَ: فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ عَجَبَ نَبِيِّهِ مِنْهُمْ. قَالَ الْكَلْبِيُّ: لَا أَحَدٌ أَسْمِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا أَبْصِرُ، حِينَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِعِيسَى: { **أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ** }، وَقِيلَ: أَسْمِعْ بِمَعْنَى الطَّاعَةِ؛ أَيُّ مَا أَطَوَعَهُمْ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. { **لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ** } يَعْنِي فِي الدُّنْيَا. { **فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** } وَأَيُّ ضَلَالٍ أَبْيَنَ مِنْ أَنْ يَعْتَقِدَ الْمَرْءُ فِي شَخْصٍ مِثْلِهِ حَمَلْتَهُ الْأَرْحَامُ، وَأَكَلَ وَشَرِبَ، وَأُحْدِثَ وَاحْتَاَجَ أَنَّهُ إِلَهٌ؟! وَمَنْ هَذَا وَصَفُهُ أَصَمُّ أَعْمَى، وَلَكِنَّهُ سَيُبْصِرُ وَيَسْمَعُ فِي الْآخِرَةِ إِذَا رَأَى الْعَذَابَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ. قَالَ مَعْنَاهُ قِتَادَةٌ وَغَيْرُهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: { **وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ** } رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا وَلَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ، فَيَتَحَسَّرُ عَلَيْهِ".

ويراه وهو في قبره، ويراه في يوم المحشر، يرى مقعده من الجنة، يرى مقعده من الجنة، يقول: هذا مقعدك لو اتبعت، لو آمنت، لو صدقت، ثم يذهب به إلى النار فتزداد حسرته ويزداد عذابه وندمه نسأل الله السلامة والعافية.

"وَقِيلَ: تَقَعُ الْحَسْرَةُ إِذَا أُعْطِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ. { **إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ** } أَيُّ فُرِغَ مِنَ الْحِسَابِ، وَأَدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحٌ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤَمَّرُ بِهِ فَيُدْبَحُ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ - ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - { **وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** } ». حَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ بِمَعْنَاهُ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ، وَابْنِ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ يَرْفَعُهُ وَقَالَ فِيهِ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِ (التَّذَكُّرَةِ)، وَبَيَّنَّا هُنَاكَ أَنَّ الْكُفَّارَ مُخَلَّدُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ

وَأَلَايَ رَدًّا عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ صِفَةَ الْغَضَبِ تَنْقَطِعُ، وَإِنَّ إِبْلِيسَ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ الْكَفَرَةِ كَفَرَعُونَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ وَأَشْبَاهَهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ".

لقول الجهمية أنه لا دوام ولا خلود لا لأهل الجنة ولا لأهل النار، هؤلاء يعذبون، وهؤلاء ينعمون، ثم ينقطع هذا النعيم وهذا العذاب، كلُّ يُعَذَّبُ بقدر معصيته، أو يُنَعَّمُ بقدر طاعته، لا استمرار لا للعذاب ولا للنعيم، هذا قول الجهمية، نسأل الله السلامة والعافية، وأهل السنة والجماعة على أن الكل خالدون مخلدون، هؤلاء في الجنة نعيم دائم أبدي سرمدي، وهؤلاء في النار، نسأل الله السلامة والعافية، وهناك من يفرق فيقول: أهل الجنة خالدون مخلدون، وأهل النار ينقطع عذابهم، ثم يختلفون، منهم من يقول: النار تفنى ويفنى من فيها، ومنهم من يقول: إن النار تبقى، لكن ينقلب عذابها إلى لا شيء، كقول العلاف، العلاف من المعتزلة يقول: إن العذاب ينقطع، والنار باقية، ومنهم من يقول: إنهم يُخرجون من النار ويدخلون الجنة، وهذا قول معروف عند أهل العلم، لكنه ما عدا القول الأول من أقوال أهل السنة لا عبرة به، فالنصوص الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة تدل على أن الكل خالدون مخلدون، إما نعيم دائم لا ينقطع، وإما عذاب أبدي سرمدي، نسأل الله السلامة والعافية.

يُذَكَّرُ عن بعض السلف ما يدل على فناء النار، لكن أولاً ليس بصريح، ليس بصريح بفنائها، لذلك قول عمر -رضي الله تعالى عنه-: لو لبثوا عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه، هذا يؤثر عن عمر -رضي الله عنه-، لكن لو لبثوا هذا، على هذا الاحتمال أنهم لو لبثوا؛ لأن رمل عالج مهما كان من الكثرة إلا أن له حدًّا ينتهي فيه، لكن ليس بلبث في الحقيقة مثل رمل عالج، يعني عن سبيل التنزل أنهم لو لبثوا مثل هذا الرمل كان لهم يوم يخرجون، لكن لبثهم أشد وأكثُر وأعظم، كما قال الله -جل وعلا-: **{لَا يَبِثْنَ فِيهَا أَحْقَابًا}** [النبأ:23]، وهذا على سبيل التبكيت لهم، وأن عذابهم لا ينقطع ولا ينتهي، عقابًا يعني لا ينتهي مستمر دائمًا، والله المستعان، وجاء وصفهم بالخلود في نصوص كثيرة، والتأبيد أيضًا جاء في بعض النصوص، المقصود أن الفئتين والفرقتين لا يخرجون.

طالب:.....

هو ذكر القولين وما رجح، يعني في النهاية هو توقف فيه، وبعضهم ينسب إليه الجزم، ينسب إليه الجزم بذلك، ويذكرون عن شيخ الإسلام، لكن ما يوجد كلام صريح من كلامه، ابن القيم أطل في ذكر القولين، واستدل لكل منهما وما يشم منه ترجيح، لكن على كل حال هو قول معروف، لكنه مرجوح.

بعضهم يقول: إن القول بفناء النار يؤيده النظر، وأن هؤلاء الكفار مدتهم في كفرهم وعصيانهم محدودة، فالأصل أن يكون عذابهم محدودًا، لكن هم في نيتهم أنهم لو خُلدوا في الدنيا لاستمروا على كفرهم، فهم يعاقبون على هذه النية بالخلود في النار، نسأل الله السلامة والعافية.

طالب:.....

لا، هو تمسك ببعض الآثار، تمسك ببعض الآثار عن الصحابة.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: **{ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا }** أَي نُمِيتُ سُكَّانَهَا فَنَرِثُهَا".

صاحب فيض الباري المناوي في الجزء السادس صفحة مائتين وواحد وأربعين، ذكر أن ابن القيم ختم كتابه بالقول بقاء النار فكان كمن قال النبي -عليه الصلاة والسلام- فيهم: «**إِنْ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلْ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا**»، يقصد بن القيم -رحمه الله-، المقصود أن المسألة معروفة عند أهل العلم، لكنه قول مرجوح.

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

هذا فيض القدير للمناوي الجزء السادس صفحة مائتين وواحد وأربعين.

"**وَالَّذِينَ يُرْجَعُونَ** } يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا فِي (الْحَجْرِ) وَغَيْرِهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **{ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا }** الْمَعْنَى: وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكَ وَهُوَ الْقُرْآنُ قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَخَبْرَهُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى الصِّدِّيقِ فِي (النِّسَاءِ)، وَاشْتِقَاقَ الصِّدْقِ فِي (الْبَقَرَةِ)، فَلَا مَعْنَى لِلْإِعَادَةِ. وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَقْرَأْ عَلَيْهِمْ يَا مُحَمَّدُ فِي الْقُرْآنِ أَمْرَ إِبْرَاهِيمَ K فَقَدْ عَرَفُوا أَنَّهُمْ مِنْ وَرَثَتِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ يَتَّخِذُ الْأَنْدَادَ، فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَتَّخِذُوا الْأَنْدَادَ؟ وَهُوَ كَمَا قَالَ: **{ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ }**.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **{ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ } وَهُوَ آزُرٌ. وَقَدْ تَقَدَّمَ. { يَا أَبَتِ } قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ فِي (يُوسُفَ)، { لِمَ تَعْبُدُ } أَي لِأَيِّ شَيْءٍ تَعْبُدُ: { مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا } يُرِيدُ الْأَصْنَامَ".**

ما فيه سبب مسبب ولا مبرر لأن تُعبد مثل هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها شيئاً، ولا تجلب لها خيراً، لا تسمع ولا تبصر ولا تغني شيئاً، لكن العقول إذا أخذها باريها تاهت وضلت، وإذا وكل الإنسان إلى نفسه يوكل للعجز والضعف.

"**{ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ }** أَي مِنَ الْيَقِينِ وَالْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَمَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَنَّ مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ عُدْبَ. فَاتَّبِعْنِي إِلَى مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ. **{ أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا }** أَي أُرْشِدُكَ إِلَى دِينٍ مُسْتَقِيمٍ فِيهِ النِّجَاةُ. **{ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ }** أَي لَا تُطِيعُهُ فِيمَا يَأْمُرُكَ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَمَنْ أَطَاعَ شَيْئًا فِي مَعْصِيَةِ فَقَدْ عَبَدَهُ".

كما يدل له حديث عدي بن حاتم في اتخاذ الأحيار والرهبان أرباباً من دون الله، يقول: ما عبدناهم، قال: يجرمون الحلال فتطيعونهم، ويحللون الحرام، وتلك عبادتهم، لا شك أن من أطاع مخلوقاً في معصية الله فقد اتخذها إلهاً من دون الله في هذه المعصية ما لم يكن متأولاً أو خائفاً.

طالب:.....

كيف؟

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

المقصود أن العمل عبادة، العمل هذا تلك عبادتهم، هذه عبادتهم.

"**إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا** {كَانَ} صِلَةٌ زَائِدَةٌ، وَقِيلَ: بِمَعْنَى صَارَ. وَقِيلَ بِمَعْنَى الْحَالِ أَي هُوَ لِلرَّحْمَنِ. وَعَصِيًّا وَعَاصٍ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، قَالَهُ الْكِسَائِيُّ. **{ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ }** أَي إِنْ مَتَّ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ. وَيَكُونُ أَخَافُ بِمَعْنَى أَعْلَمُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَخَافُ عَلَى بَابِهَا فَيَكُونُ الْمَعْنَى: إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَمُوتَ عَلَى كُفْرِكَ فَيَمَسَّكَ الْعَذَابُ. **{ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا }** أَي قَرِينًا فِي النَّارِ. **{ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ }** أَي اتَّرَعَبُ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا. **{ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ }** قَالَ الْحَسَنُ: يَعْنِي بِالْحِجَارَةِ. قَالَ الضَّحَّاكُ: بِالنَّقُولِ؛ أَي لِأَشْتَمَنَّكَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِأَضْرِبَنَّكَ. وَقِيلَ: لِأُظْهِرَنَّ أَمْرَكَ".

والأصل في الرجم أنه بالحجارة.

"**{ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي }** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَي اعْتَرَلْنِي سَالِمَ الْعَرَضِ لَا يُصِيبُكَ مِنِّي مَعْرَةٌ؛ وَاخْتَارَهُ الطَّبْرِيُّ، فَقَوْلُهُ: **{ مَلِيًّا }** عَلَى هَذَا حَالٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ: مَلِيًّا دَهْرًا طَوِيلًا؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُهَلِّهِلِ:

فَتَصَدَّعَتْ ضُمُّ الْجِبَالِ لِمَوْتِهِ وَبَكَتْ عَلَيْهِ الْمُرْمَلَاتُ مَلِيًّا

قَالَ الْكِسَائِيُّ: يُقَالُ هَجَرْتُهُ مَلِيًّا وَمَلُوتٌ وَمَلُوتَةٌ وَمَلَاوَةٌ وَمَلَاوَةٌ، فَهُوَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ ظَرْفٌ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْمَلَاوَةِ مِنَ الزَّمَانِ، وَهُوَ الطَّوِيلُ مِنْهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **{ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ }** لَمْ يُعَارِضْهُ إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِسُوءِ الرَّدِّ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمَرْ بِقِتَالِهِ عَلَى كُفْرِهِ".

من باب **{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}** [الفرقان:63]، وهذا جاهل وهو أيضًا أب تختلف معاملته مع معاملة غيره، وإن كان المودة لا تجوز وإن كان أبًا، إلا أنه خاطبه برفق ولين لعل الله أن يهديه.

"وَأَلْجُمُوهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِسَلَامِهِ الْمُسَالَمَةُ الَّتِي هِيَ الْمُنَارَكَةُ لَا التَّحِيَّةُ".

لأنه لا يجوز تحية الكافر.

"قَالَ الطَّبْرِيُّ: مَعْنَاهُ أَمْنَةٌ مِنِّي لَكَ. وَعَلَى هَذَا لَا يُبْدَأُ الْكَافِرُ بِالسَّلَامِ. وَقَالَ النَّقَّاشُ: حَلِيمٌ خَاطَبَ سَفِيهَاً، كَمَا قَالَ: **{ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا }** [الفرقان:63]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي مَعْنَى

تَسْلِيمِهِ: هُوَ تَحِيَّةٌ مُفَارِقٍ، وَجَوَزَ تَحِيَّةَ الْكَافِرِ وَأَنْ يُبَدَأَ بِهَا. قِيلَ لِإِبْنِ عُيَيْنَةَ: هَلْ يَجُوزُ السَّلَامُ عَلَى الْكَافِرِ؟ قَالَ: نَعَمْ".

لكن النص على البداءة بهم بالسلام صحيح وصريح، النهي عن بداءة الكفار بالسلام صريح.
 "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الممتحنة:8]. وَقَالَ: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ} [الممتحنة:4] الْآيَةَ؛ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ {سَلَامٌ عَلَيْكَ}."

على كل حال لو كان هذا بمعنى التحية من إبراهيم -عليه السلام- لأبيه فيقال فيه: إنه شرع من قبلنا، شرع من قبلنا وإن أمرنا بالافتداء والاتساء بإبراهيم فهذا فيما لم يرد شرعنا بخلافه، وقد جاء النهي عن بداءة الكفار بالسلام.

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

لا تبدأ اليهود والنصارى بالسلام، والمشركون من باب أولى.

طالب:.....

أين؟

طالب:.....

يعني غيرهم يُبدءون بالسلام؟

طالب:.....

النص الصحيح الصريح لا تبدووا اليهود ولا النصارى بالسلام

طالب:.....

أين؟

طالب:.....

لا ما يلزم.

طالب:.....

أن تسلم عليهم؟

أن تبرهم وتقصد إليهم فقط بالصلة، لكن إذا ألقيت السلام، إلقاء السلام مسالمة، وأقرب ما تكون إلى المهادنة بينك وبينهم.

طالب:.....

نعم؟

طالب:.....

على كل حال لا يُبدأ الكافر بالسلام إذا سلم رد عليه بما يناسب.

طالب:.....

الكلام على لفظ السلام الذي هو اسم من أسماء الله -جل وعلا-.

طالب:.....

أما التحية التي يتبادلها الناس فإذا رئي فيها المصلحة أو خُشي من ضرر الهجرة فهذا حكمه آخر أن يتأول الإنسان ويرتكب الرخصة إذا خشي على نفسه الضرر، أو رجاء النفع بمثل هذا إلى أن يتبين له الأمر، إذا يأس فخلاص، صار معهم مقاطعة.

"قُلْتُ: الْأَظْهَرُ مِنَ الْآيَةِ مَا قَالَهُ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَفِي النَّبَابِ حَدِيثَانِ صَحِيحَانِ: رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « لَا تَبْدَأُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقَيْتُمْ أَحَدَهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَأَضْطَرُّوهُ إِلَى أَصِيْقِهِ»، خَرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ « أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَكِبَ حِمَارًا عَلَيْهِ إِكَافٌ تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَذَكَيَّةٌ، وَارْدَفَ وَرَاءَهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَهُوَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ».

الْحَارِثُ، الْحَارِثُ.

طالب: الْحَارِثُ؟

أي نعم؛ لأن كتابته ما تخالف، بدون ألف تكتب.

"« فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ وَذَلِكَ قَبْلَ وَقَعَةِ بَدْرٍ، حَتَّى مَرَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدَةَ الْأَوْثَانَ وَالْيَهُودِ، وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا عَشِيَّتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، حَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تُعْتَبَرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-« الْحَدِيثُ. فَأَلَّوْهُ يُفِيدُ تَرَكَ السَّلَامَ عَلَيْهِمْ ابْتِدَاءً؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِكْرَامٌ، وَالْكَافِرُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ. وَالْحَدِيثُ الثَّانِي يُجَوِّزُ ذَلِكَ».

الحديث الثاني يجوز إذا كان فيه أخلاط مسلمين وغير مسلمين، ويكون المقصود بالسلام المسلمين.

طالب:.....

الآن بالنسبة للسلام حقيقة يعني يشكل بداءة من يزاول المعصية بالسلام، أما شخص معاند وجالس في طريق الناس والصلاة مقامة، ويؤمر ولا ياتمر، أو شخص أثناء مزاولة الدخان مثلاً، كثير من الناس يتخرج أن تسلم عليه وهو يدخن، لا شك أن مثل هذا إذا كان فيه ردع وزجر ويستفاد من هذا أنه يرتدع ويزدجر، هذا نوع من أنواع الهجر المطلوب، لكن إذا كان يصبر ويعاند ويزداد والأولى تأليفه بمثل هذا، وهو مسلم، فلا بأس، إن شاء الله.

طالب:.....

غير الكافر؟

طالب: المسلم.

هذا مسلم، يعني والسلام ما منع إلا من الكافر، السلام وعدمه من باب الوصل والهجر، وكل منهما علاج، يستعمل في الوقت المناسب له، إذا كان السلام أنفع من حيث يملك قلبه، ويستولى عليه، ويؤثر عليه بمثل هذا فهو المطلوب، وإن كان الهجر تعذيرًا له، ويؤثر فيه أكثر، ويرى أنه بهذا الهجر ينصرف الناس عنه، يعيش وحده، وشيء من هذا، فكل منهما علاج.

"قَالَ الطَّبْرِيُّ: وَلَا يُعَارِضُ مَا رَوَاهُ أُسَامَةُ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي أَحَدِهِمَا خِلَافٌ لِالْآخَرِ وَذَلِكَ أَنَّ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ مَخْرَجُهُ الْعُمُومُ، وَخَبَرُ أُسَامَةَ يُبَيِّنُ أَنَّ مَعْنَاهُ الْخُصُوصُ. وَقَالَ النَّخَعِيُّ: إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَأَبْدَأْهُ بِالسَّلَامِ، فَبَانَ بِهَذَا أَنَّ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ: لَا تَبْدَأْهُمْ بِالسَّلَامِ إِذَا كَانَ لِعَبْدٍ سَبَبٌ يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ أَنْ تَبْدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ، مِنْ قَضَاءِ نِيَامٍ أَوْ حَاجَةٍ تَعْرِضُ لَكُمْ قَبْلَهُمْ، أَوْ حَقِّ صُحْبَةٍ أَوْ جَوَارٍ أَوْ سَفَرٍ. قَالَ الطَّبْرِيُّ: وَقَدْ رُوِيَ عَنِ السَّلَفِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَلِّمُونَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ."

يعني في مفهوم قوله -جل وعلا-: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} [النساء: 94]، دل على أن السلام مرتبط بالإيمان في الجملة؛ لأنه اسم من أسماء الله -جل وعلا- وهو يعطي معنى الأمن والأمان للملقى عليه، وهذا خاص بالمسلمين، أما الكفار والمشركون من جميع الطوائف فهؤلاء لهم أحكامهم التي تخصهم، منهم من يعاهد، ومنهم من يهادن، ومنهم من يحارب، المقصود أنهم تتفاوت أحكامهم.

"وَقَدْ رُوِيَ عَنِ السَّلَفِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَلِّمُونَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ. وَفَعَلَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ بِدِهْقَانَ صَحْبِهِ فِي طَرِيقِهِ. قَالَ عَلْقَمَةُ: فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَيْسَ يُكْرَهُ أَنْ يُبْدَأُوا بِالسَّلَامِ؟! قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ حَقُّ الصُّحْبَةِ."

مثل هذا قد يقوله من يقول: هذا حق الزمالة في العمل مثلاً، نعم حق الزمالة في العمل، وابتلي الناس بمخالطتهم ومعاشرتهم، في غير هذه البلاد أمر ظاهر، يعني عادي مسلم وغير مسلم على حد سواء يشتغلون، في هذه البلاد فيها نوع تميز، لكن يوجد المخالفون المبتدعة الذين بعضهم بدعهم مغلظة، والله المستعان.

"وَكَانَ أَبُو أُسَامَةَ إِذَا انْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ."

أمامة، أبو أمامة.

طالب: أحسن الله إليك أبو أمامة؟

نعم، كان أبو أمامة.

"وَكَانَ أَبُو أُسَامَةَ إِذَا انْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ لَا يَمُرُّ بِمُسْلِمٍ وَلَا نَصْرَانِيٍّ وَلَا صَغِيرٍ وَلَا كَبِيرٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ؛ قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: أَمَرْنَا أَنْ نُفْشِيَ السَّلَامَ."

عمل بالعموم وترك الخصوص.

"وَسُئِلَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ مُسْلِمٍ مَرَّ بِكَافِرٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنْ سَلَّمْتَ فَقَدْ سَلَّمَ الصَّالِحُونَ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَرَكْتَ فَقَدْ تَرَكَ الصَّالِحُونَ قَبْلَكَ. وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا مَرَرْتَ بِمَجْلِسٍ فِيهِ مُسْلِمُونَ وَكَفَّارٌ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ".

يعني قاصداً بذلك المسلمين، كما في قصة أسامة التي ذكرها.

"قُلْتُ: وَقَدْ احْتَجَّ أَهْلُ الْمَقَالَةِ الْأُولَى بِأَنَّ السَّلَامَ الَّذِي مَعْنَاهُ النَّحِيَّةُ إِنَّمَا خُصَّ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ؛ لِحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَى أُمَّتِي ثَلَاثًا لَمْ تُعْطَ أَحَدًا قَبْلَهُمْ: السَّلَامَ وَهِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ» الْحَدِيثُ، ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ، وَقَدْ مَضَى فِي الْفَاتِحَةِ بِسَنَدِهِ. وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: **{سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي}**. وَارْتَفَعَ السَّلَامُ بِالْإِتِّدَاءِ، وَجَازَ ذَلِكَ مَعَ نَكْرَتِهِ؛ لِأَنَّهُ نَكْرَةٌ مُخَصَّصَةٌ فَفَرَّقَتْ الْمَعْرِفَةَ".

فقرنت يعني صارت مثلها

"لِأَنَّهُ نَكْرَةٌ مُخَصَّصَةٌ فَفَرَّقَتْ الْمَعْرِفَةَ".

التخصيص بمتعلق الجار والمجرور.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: **{إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}** الْحَفِيُّ الْمُبَالِغُ فِي الْبِرِّ وَالْإِلْطَافِ؛ يُقَالُ: حَفِيَ بِهِ وَتَحَفَى إِذَا بَرَّهُ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ يُقَالُ: حَفِيَ بِي حِفَاوَةً وَحِفْوَةً. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: **{إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}** أَي عَالِمًا لَطِيفًا يُجِيبُنِي إِذَا دَعَوْتُهُ. قَوْلُهُ تَعَالَى: **{وَأَعْتَزِلْكُمْ}** الْعَزْلَةُ الْمُفَارَقَةُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي (الْكُهْفِ) بَيَانُهَا. وَقَوْلُهُ: **{عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا}**".

المفارقة والعزلة بالنسبة للمسلم إذا خشي على دينه فمطلوبة، وهي متعينة في آخر الزمان؛ **{يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ عَنَّمْ يَنْبَغُ بِهَا شَعْفُ الْجِبَالِ}**، فمعاذلة الكفار ومفارقة العصاة الذين يُخشى من تعدي ضررهم والتأثر بأفعالهم هذا راجح وجاءت به النصوص، لكن إذا كان الشخص بحيث يؤثر في غيره، وينفع اختلاطه بهم، ولا يتأثر بهم، فهذا الذي يترجح الخلطة في حقه.

"وَقَالَ الْفَرَّاءُ: **{إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}** أَي عَالِمًا لَطِيفًا يُجِيبُنِي إِذَا دَعَوْتُهُ".

قَوْلُهُ تَعَالَى: **{وَأَعْتَزِلْكُمْ}** الْعَزْلَةُ الْمُفَارَقَةُ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي (الْكُهْفِ) بَيَانُهَا. قَوْلُهُ: **{عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا}** قِيلَ: أَرَادَ بِهَذَا الدُّعَاءِ أَنْ يَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ أَهْلًا وَوَلَدًا يَتَّقَوْنَ بِهِمْ، حَتَّى لَا يَسْتَوْحِشَ بِالْإِعْتِزَالِ عَنْ قَوْمِهِ. وَلِهَذَا قَالَ: **{فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَغْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ}** أَي آتَيْنَاهُ وَحْشَتَهُ بِوَلَدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ. وَقِيلَ: عَسَىٰ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَقْطَعُ بِأَنَّهُ يَبْقَى عَلَى الْمَعْرِفَةِ أَمْ لَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَقِيلَ: دَعَا لِأَبِيهِ بِالْهُدَايَةِ. فَ"عَسَىٰ" شَكٌّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَدْرِي هَلْ يُسْتَجَابُ لَهُ فِيهِ أَمْ لَا؟ وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ.

قَوْلُهُ: **{وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا}** أَي أَثْنَيْنَا عَلَيْهِمْ ثَنَاءً حَسَنًا؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْمَلَلِ تُحْسِنُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ. وَاللِّسَانُ يُدَكَّرُ وَيُؤنَّثُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **{ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى }** أَيِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ قِصَّةَ مُوسَى. **{ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا }** فِي عِبَادَتِهِ غَيْرَ مُرَاءٍ. وَقَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِفَتْحِ اللَّامِ.

قراءة نافع: مخلصًا، في قراءة نافع.

"وَقَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِفَتْحِ اللَّامِ، أَيِ أَخْلَصْنَاهُ فَجَعَلْنَاهُ مُخْتَارًا. **{ وَنَادَيْنَاهُ }** أَيِ كَلَّمْنَاهُ نَيْلَةَ الْجُمُعَةِ. **{ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ }** أَيِ يَمِينِ مُوسَى، وَكَانَتِ الشَّجَرَةُ فِي جَانِبِ الْجَبَلِ عَنْ يَمِينِ مُوسَى حِينَ أَقْبَلَ مِنْ مَدِينِ إِلَى مِصْرَ، قَالَهُ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ فَإِنَّ الْجَبَالَ لَا يَمِينُ لَهَا وَلَا شِمَالٌ. **{ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا }** نُصِبَ عَلَى الْحَالِ؛ أَيِ كَلَّمْنَاهُ مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ. وَقِيلَ: أَدْنَيْنَاهُ لِتَقْرِيْبِ الْمُنْزِلَةِ حَتَّى كَلَّمْنَاهُ".

الأيمن والشمال أمور نسبية باعتبار الذهاب، وباعتبار الراجع، وباعتبار، فهو أيمن بالنسبة له وهو ذاهب.

"وَدَكَّرَ وَكَبَّعٌ وَقَبِيصَةُ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ-: **{ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا }** أَيِ أَدْنَيْ حَتَّى سَمِعَ صَرِيرَ الْأَقْلَامِ. **{ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا }** وَذَلِكَ حِينَ سَأَلَ فَقَالَ: **{ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي }**. قَوْلُهُ تَعَالَى: **{ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا }** فِيهِ سِتُّ مَسَائِلَ:

الأولى: قَوْلُهُ تَعَالَى: **{ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ }** اخْتَلَفَ فِيهِ؛ فَقِيلَ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَزْقِيلَ، بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ فَسَلَخُوا جِلْدَةَ رَأْسِهِ، فَخَيَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا شَاءَ مِنْ عَذَابِهِمْ، فَاسْتَعْفَاهُ وَرَضِيَ بِتَوَابِهِ، وَفَوَّضَ أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ فِي عَفْوِهِ وَعَقُوبَتِهِ. وَالْجُمْهُورُ أَنَّهُ إِسْمَاعِيلُ الدَّبِيحُ أَبُو الْعَرَبِ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الدَّبِيحَ إِسْحَاقُ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، وَيَأْتِي فِي (الصَّافَاتِ) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَخَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِصِدْقِ الْوَعْدِ، وَإِنْ كَانَ مُوجُودًا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَشْرِيْفًا لَهُ وَإِكْرَامًا، كَالْتَلْقِيْبِ بِنَحْوِ الْحَلِيمِ وَالْأَوَّاهِ وَالصِّدِّيقِ؛ وَلِأَنَّهُ الْمَشْهُورُ الْمُتَوَاصَفُ مِنْ خِصَالِهِ. الثَّانِيَةُ: صِدْقُ الْوَعْدِ مَحْمُودٌ وَهُوَ مِنْ خُلُقِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَضِدُّهُ وَهُوَ الْخُلْفُ مَذْمُومٌ، وَذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْفَاسِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي (بِرَاءةٍ). وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ إِسْمَاعِيلَ فَوَصَفَهُ بِصِدْقِ الْوَعْدِ".

الطبعات الجديدة التي معكم إذا قال تقدم أو سيأتي يذكر في الحاشية صفحة كذا، جزء كذا، أم ما يذكر؟

طالب:.....

ذكر؟

طالب:.....

ما يذكر الجزء والصفحة؟

طالب:.....

يعني بعض الطبقات، لكن الطبعة الأصلية الأولى فيها كل الإحالات على ما تقدم، وجميع الإحالات على اللاحق، إذا قال: تقدم، قال: راجع جزء كذا صفحة كذا، إذا قال: سيأتي قال: راجع كذا صفحة كذا، وهذه ميزة؛ لأنك تحتاج مثل هذا الكلام، قد يكون في هذا الموضوع مختصراً، وهناك مبسوط.

"وَاخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ؛ فَقِيلَ: إِنَّهُ وَعَدَ مِنْ نَفْسِهِ بِالصَّبْرِ عَلَى الذَّبْحِ فَصَبَرَ حَتَّى فُدِيَ. هَذَا فِي قَوْلِ مَنْ يَرَى أَنَّهُ الذَّبِيحُ. وَقِيلَ: وَعَدَ رَجُلًا أَنْ يَلْقَاهُ فِي مَوْضِعٍ فَجَاءَ إِسْمَاعِيلُ وَأَنْتَظَرَ الرَّجُلَ يَوْمَهُ وَأَيَّلَتْهُ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ فِي الْآخِرِ جَاءَ".

كَانَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ.

كَانَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ.

فلما كان في اليوم الثاني يعني اليوم الثاني.

"كَانَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ جَاءَ فَقَالَ لَهُ: مَا زِلْتُ هَاهُنَا فِي أَنْتَظَرِكَ مِنْذُ أَمْسٍ. وَقِيلَ: أَنْتَظَرَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. وَقِيلَ فَعَلَ مِثْلَهُ نَبِيُّنَا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْلَ بَعْثِهِ، ذَكَرَهُ النَّقَّاشُ وَخَرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحَمَسَاءِ «قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَنَسِيتُ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ مَكَانَهُ، فَقَالَ: يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَاهُنَا مِنْذُ ثَلَاثِ أَنْتَظَرُكَ» لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ. وَقَالَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ:

مخرج عنكم؟

طالب: نعم.

ماذا يقول؟

طالب:.....

المؤلف حفي بالترمذي الحكيم، يعتني برواياته، الحكيم الترمذي، وجميع ما يتقرد به الحكيم ضعيف بلا شك.

طالب:.....

الأصل، الأصل الترمذي أبو عيسى صاحب السنن، لكن في مثل هذا الأماكن هو يحتقي بالحكيم الترمذي.

"وَقَالَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ".

بالتخفيف.

"وَقَالَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ: ائْتَنظَرَهُ إِسْمَاعِيلُ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا؛ ذَكَرَهُ الْمَاوَرِدِيُّ. وَفِي كِتَابِ ابْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ ائْتَنظَرَهُ سَنَةً. وَذَكَرَهُ الرَّمَحْشَرِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ وَعَدَ صَاحِبًا لَهُ أَنْ يَنْتَظِرَهُ فِي مَكَانٍ فَأَنْتَظَرَهُ سَنَةً. وَذَكَرَهُ الْفُشَيْرِيُّ قَالَ: فَلَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَكَانِهِ سَنَةً حَتَّى أَتَاهُ جَبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَقَالَ: إِنَّ التَّاجِرَ الَّذِي سَأَلْتَ أَنْ تَفْعُدَ لَهُ حَتَّى يَعُودَ هُوَ إِبْلِيسُ فَلَا تَفْعُدْ وَلَا كَرَامَةً لَهُ. وَهَذَا بَعِيدٌ وَلَا يَصِحُّ".

الانتظار يعني مثل هذه المدة ثلاثة أيام أو يومين أو حتى يوم فضلًا عن سنة فيها ما فيها؛ لأن فيه تضييعًا للواجبات.

"وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ إِسْمَاعِيلَ لَمْ يَعِدْ شَيْئًا إِلَّا وَفَى بِهِ، وَهَذَا قَوْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ ظَاهِرُ الْآيَةِ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. الثَّالِثَةُ: مِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «الْعِدَّةُ دَيْنٌ» وَفِي الْأَثَرِ (وَأَيُّ الْمُؤْمِنِ وَاجِبٌ) أَي فِي أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ".

وأيه وعده، المقصود بالوأي الوعد.

"وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ فَرَضًا لِاجْتِمَاعِ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَا حَكَاهُ أَبُو عَمْرٍ أَنْ مَنْ وَعَدَ بِمَالٍ مَا كَانَ لِيَضْرِبَ بِهِ مَعَ الْعَرْمَاءِ، فَلِذَلِكَ قُلْنَا: يُجَابُ الْوَفَاءُ بِهِ حَسَنٌ مَعَ الْمُرُوءَةِ، وَلَا يُقْضَى بِهِ، وَالْعَرَبُ تَمْتَدِحُ بِالْوَفَاءِ، وَتَذُمُّ بِالْخُلْفِ وَالغَدْرِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأُمَمِ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْفَائِلُ:

مَتَى مَا يَقُلْ حُرٌّ لِصَاحِبِ حَاجَةٍ نَعَمْ يَقْضِيهَا وَالْحُرُّ لِلْوَأْيِ ضَامِنٌ

وَلَا خِلَافَ أَنَّ الْوَفَاءَ يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ، وَعَلَى الْخُلْفِ الدَّمُ. وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَى مَنْ صَدَقَ وَعَدَهُ، وَوَفَى بِنَدْوِهِ، وَكَفَى بِهِذَا مَدْحًا وَثَنَاءً، وَبِمَا خَالَفَهُ دَمًا".

ولو لم يكن في ذم خُلف الوعد إلا أنه من صفات المنافقين -نسأل الله السلامة والعافية- كفى.

"الرَّابِعَةُ: قَالَ مَالِكٌ: إِذَا سَأَلَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ أَنْ يَهَبَ لَهُ الْهَبَةَ فَيَقُولَ لَهُ: نَعَمْ، ثُمَّ يَبْدُو لَهُ أَلَّا يَفْعَلُ، فَمَا أَرَى يَلْزَمُهُ".

ولا يرون هذا من خُلف الوعد إلا إذا كان أثناء الكلام قاصدًا وناويًا خلف الوعد، إذا قال له: تعطيني كذا؟ قال: نعم، إن كان من الأصل ما نوى أن يعطيه، فهذا خُلف، لكن إن كان ناويًا أن يعطيه، لكن حصل له ما حصل مما يعترضه من مانع، وإن كان شحًا فلا يسمى خلفًا للوعد، يعني الذي يدخل في صفات المنافقين، إنما الذي يدخل في صفاتهم ما يوعد عليهم مع نية الإخلاف أثناء الوعد.

"قَالَ مَالِكٌ: وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ فِي قِضَاءِ دَيْنٍ فَسَأَلَهُ أَنْ يَقْضِيَهُ عَنْهُ فَقَالَ: نَعَمْ، وَثُمَّ رَجُلًا يَشْهَدُونَ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْرَاهُ أَنْ يَلْزَمَهُ إِذَا شَهِدَ عَلَيْهِ اثْنَانِ".

وَقَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ وَأَصْحَابُهُ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَسَائِرُ الْفُقَهَاءِ: إِنَّ الْعِدَّةَ لَا يَلْزَمُ مِنْهَا شَيْءٌ؛ لِأَنَّهَا مَنَافِعٌ لَمْ يَقْبِضْهَا فِي الْعَارِيَةِ؛ لِأَنَّهَا طَارِئَةٌ، وَفِي غَيْرِ الْعَارِيَةِ هِيَ أَشْخَاصٌ وَأَعْيَانٌ مَوْهُوبَةٌ لَمْ تُقْبِضْ فَلِصَاحِبِهَا الرَّجُوعُ فِيهَا.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: **{وَأَذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ}**، وَقَضَى ابْنُ أَشْوَعٍ بِالْوَعْدِ، وَذَكَرَ ذَلِكَ عَنْ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ. قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَرَأَيْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ يَحْتَجُّ بِحَدِيثِ ابْنِ أَشْوَعٍ.

الْخَامِسَةُ: **{وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا}** قِيلَ: أُرْسِلَ إِسْمَاعِيلُ إِلَى جُرْهُمَ. وَكُلُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا إِذَا وَعَدُوا صَدَقُوا، وَخَصَّ إِسْمَاعِيلَ بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا لَهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

السَّادِسَةُ: **{وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ}** قَالَ الْحَسَنُ: يَعْني أُمَّتَهُ. وَفِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ جُرْهُمَ وَوَلَدَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ).

{وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} أَي رَضِيًّا زَاكِيًّا صَالِحًا. قَالَ الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ: مَنْ قَالَ: مَرْضِيًّا بِنَاءً عَلَى رَضِيَّتِهِ، قَالَ: وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ: مَرْضُوءٌ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ: مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: رِضْوَانِ وَرِضْيَانِ فَرِضْوَانِ عَلَى مَرْضُوءٍ، وَرِضْيَانِ عَلَى مَرْضِيٍّ، وَلَا يُجِيزُ الْبَصْرِيُّونَ أَنْ يَقُولُوا إِلَّا رِضْوَانِ وَرِيبَانِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ الرَّجَّاجَ يَقُولُ: يُخْطِئُونَ فِي الْخَطِّ فَيَكْتُبُونَ رَبًّا بِالْبَاءِ، ثُمَّ يُخْطِئُونَ فِيمَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا فَيَقُولُونَ: رِيبَانِ، وَلَا يَجُوزُ إِلَّا رِيبَانِ وَرِضْوَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرَبُّوْا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ}** [الروم: 39].

نعم، ليربو المضارع يدل على أنه واوي، وليس بيائي.

اللهم صل على محمد

طالب:

نعم؟

طالب:

يوم الاثنين إن شاء الله.

طالب:

سم.

طالب:

والله مشكلة.

إشراك جميع الناس ليس بشرعي؛ العامة والسوقة، والذي يخشى منه أنه إذا ترك هذا الخيار تولى غيرهم.

طالب:

نعم.